

# درافقة بيون

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

[www.almadasupplements.com](http://www.almadasupplements.com)

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

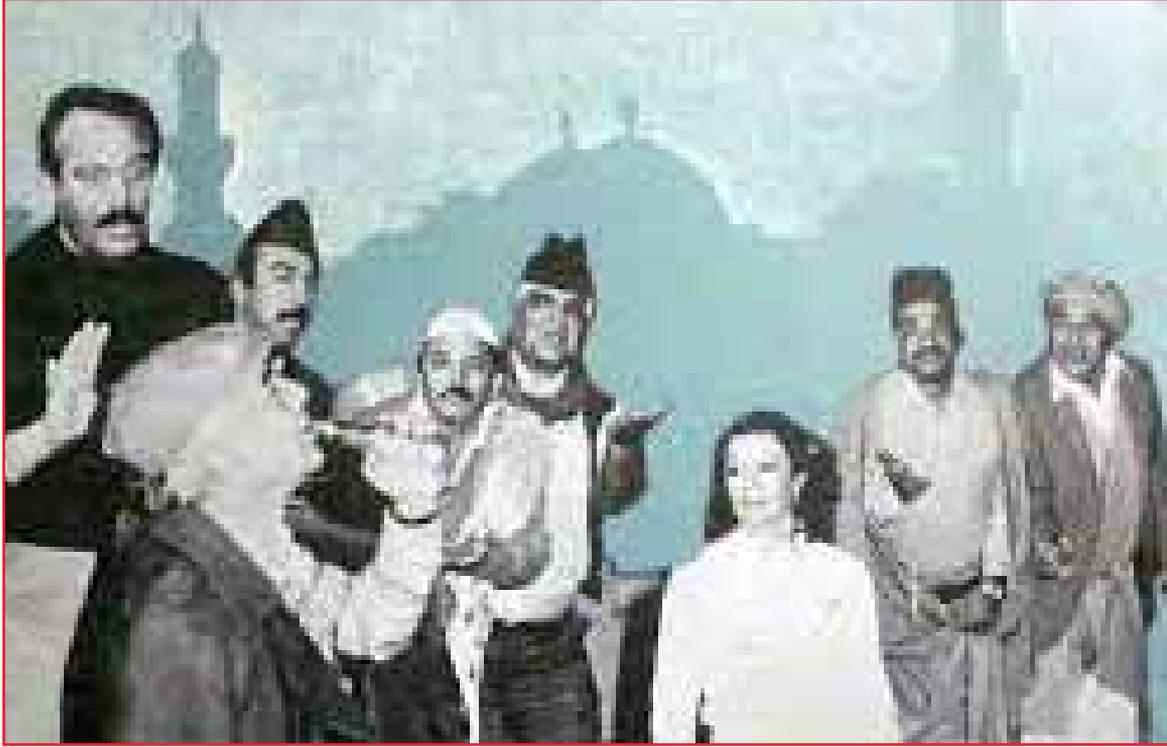
مخزي لريم

العدد (5356) السنة العشرون  
الخميس (26) كانون الثاني 2023

# جعفر اغا لقلبي زاوه

# لقلق زادة المسرحي الهزلي المنسي

إعداد: عراقيون



جعفر اغا لقلق زاده، هو أكثر الأسماء التي عرف بها في مقاهي بغداد، عاش في صغره في بغداد بين أهالي منطقة الكاظمية، ولكن لم نجد من يؤكد هل هو ولد في الكاظمية، أم ولد في قزوين وجاء ممولاً إلى الكاظمية من قبل عائلته التي استقرت فيها قرب ضريح الامام موسى بن جعفر الصادق، جريباً على عادة الإيرانيين بالسكن قرب تلك المقامات تبركاً بها، أم جاء وحيداً من دون عائلته وهو في مقتبل العمر من إيران إلى الكاظمية في أوائل القرن العشرين لطروف غامضة واستقر فيها. وهناك من ينكر انتماؤه إلى أب معروف أو أصل، إلا أنهم يتفقون على أنه عاش طويلاً في الكاظمية، وينحدر من أصول إيرانية، ولم تترك قدسية مدينة الكاظمية واجوائها الدينية اليومية عملياً أي تأثير على شخصيته البوهيمية وسلوكه الأخلاقي الراض والمناقض لتلك الأجواء القدسية.



## التعليم

ليس هناك ما يشير إلى أنه تعلم في المدارس، ولم يرد خبر يؤكد أنه دخل في الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة، ولكنه كان يفك الخط بصعوبة، إلا أنه كان يتكلم اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية، التي كانت لغات شائعة في بغداد آنذاك.

## العمل

عمل منذ طفولته بحرف مختلفة، واستقر في شبابه على حرفة صناعة الأمشاط الخشبية، مما يدل أنه نشأ في وسط فقير ومعوز.

## العمل الفني

عندما كان صغيراً استرعت انتباهه فصول الاخباري البغدادي جاسم ابن الحجامة وزميله منصور اللذان كان من سكنة منطقة العويينة، وكانا يعرضان فصلهما منذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى قبيل الحرب العالمية الأولى في مقهى التبانة في محلة الفضل، إلا أنه اعجب وتأثر بعروض الاخباري وشخصية الهبش التي كان يؤديها راشد بمعاونة زميله الحاج محمود، فلم ينقطع عن مشاهدة عروضهما التي كانت تقدم في بغداد ليلاً، فكان يضطر بعد مشاهدة العروض إلى المبيت في خان الجين في الكرخ خوفاً من قطاع الطرق الذين يكمنون ليلاً في بساطين الكاظمية الكثيرة وعلى جانبي الطريق.

## بداية التمثيل

بعضها قفشات ساخرة للظواهر الاجتماعية السائدة حينها، كالسخرية من تعليم الأطفال على يد الممالي، ووجل وشعوذة المتشبهين برجال الدين ويسمى (فتاح فال) وانتقاده لكثير من تلك الظواهر السلبية بأسلوب ساخر. عمل معه كثير من الفنانين والفنانات في مشواره الطويل منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى الخمسينيات من القرن العشرين مثل الفنان حسقييل أبو البطوات، وعباس حلاوي منادي إعلانات السينما في بغداد، والممثل الهزلي المعروف صفاء محمد علي، وجمعة الشبلي وغيرهم، ومن الممثلات فقد استعان برقصات الملاهي من الشاميات والمصريات والعراقيات امثال رحلو العراطة، واختها زكية، وحتى آخرهن عفيفة إسكندر. والتقى ريجينة باشا واستعار منها إحدى الفتيات العاملات معها والتي تدعى جلييلة للعمل كممثلة مساعداً له أثناء تمثيله بعض الأوار التي يحتاج فيها عنصر نسائي. لقد زار في فترة عزه وثرائه عدد من البلدان المجاورة كاسطنبول والشام ولبنان وشاهد العروض على خشبة ملامها وكذلك شاهد علي الكسار وتعرف بشكل مباشر على نجيب الريحاني وبديعة مصابني وتأثر بالريحاني وشخصية كشكش بيك، وادأها في عروضه في ملاهي بغداد واشتهر بها إضافة إلى شخصية الهبش التي استعارها من معلمه الأول الاخباري راشد أفندي. ان لقلق زاده قد قدم مسرحيات استعراضية، ان جاز لنا التعبير، منذ ان ادخل في عروضه واعماله على منصات الملاهي، فقرة تحوي وصلات من الرقص الشرقي والغناء والبهرجة، فلذلك عرف بشخصياته النمطية مثل (هبش) و (كامل) و (كشكش) وكان ينادى بها، حتى لقد ذكره الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي في إحدى قصائده حيث يقول:

هبش ترقص على الشانوا مثل

لقلق زاده لو مثل عصعوص بالسركس

## النهاية المررة

في السنوات العشرة الأخيرة من حياته بدأ الناس ينفضون ويبتعدون عن نمط فنه، الذي يغلب عليه السداجة، لأنه لم يتطور ولم يفكر

بالزمن الذي تجاوزه وتجاوز فنه، لقد تغير في ستينيات القرن العشرين ذوق ونظرة الناس إلى فنه، إضافة إلى ظهور السينما، وظهور مسرح جديد بعد ثورة ١٩٥٨م، حيث أخذ يقدم الطلبة وخريجي معهد الفنون الجميلة عروضاً تتماشى مع واقع العراق الجديد، وبذلك قلصت المقاهي والملاهي عروض جعفر لقلق زاده لتراجع الإقبال عليها، ثم تم الاستغناء عنها تماماً بعد أن أصبحت غير مجزية مادياً. ومنذ ستينيات القرن العشرين عاش هذا الفنان وحيداً معدماً، بعد أن تنكر وأنقض عنه أقرب أصدقائه ومعارفه، وعمل لسد الرمق أعمالاً خدمية في الملاهي آخرها حارساً وبواباً في ملهى الخيام، الذي كانت تملكه المطربة لميعة توفيق التي تكفلت برعايته ومصاريفه وإيجار سكنه، وهو عبارة عن غرفة صغيرة في خان الكاظمية وقيل في محلة الحيدرخانة، حتى وفاته، بعدما اشتدت عليه أمراض الشيخوخة وأبعده الشلل عن الحركة في رمضان الموافق لشهر أيلول ١٩٧٢م. ويذكر الأستاذ يوسف العاني في وصف النهاية المرة لهذا الفنان وغيره، وما آل إليه بجوابه من شكواه عن الإداء لبعض فنانات الإستعراض فيقول: فمهما يكن الجواب ستكون نتيجته أن نلقي بماضينا الفني والنضالي والثقافي وحتى الشخصي، في واحدة من مزابل الملاهي التي رمي فيها جعفر لقلق زاده بدون رحمة أو شفقة.

## وفاته

توفي الفنان الكوميدي جعفر اغا لقلق زاده في مستشفى المجيدية عام ١٩٧٢م، ودفن في مقبرة جامع برانسا. ولم يخرج في تشييعه أو توديع جنازته أي فنان، ولا حتى أي أحد من اصدقائه اللذين كانوا بالمئات أيام ثرائه وسطوع نجمه، كما لم تذكر صحف اليوم التالي أي خبر عن وفاته. ولكن في عام ١٩٨٤م، اعد الكاتب العراقي عادل كاظم مسرحية بعنوان، نديمكم هذا المساء، تناول فيها حياة جعفر لقلق زاده، وكانت المسرحية من إخراج محسن العزاوي وقد عرضت في اربع عواصم عربية هي، بغداد والقاهرة، والكويت، وقطر.

عن (ويكيبيديا)

# جعفر آغا لقلق زاده.. الممثل الفطري الرائد

جمال رشيد



هو ممثل ارتجالي كوميدي بالفطرة أثرى المسرح العراقي بما يعرف بالـفن الاخباري، اسمه (كامل عبد المهدي) المولود عام ١٨٨٨ في بغداد وعرف بأسم (جعفر آغا لقلق زاده)، عرفته مقاهي بغداد وعاش في صغره بين اهالي الكاظمية،



هذا الجوق يضم كل من (إيليا داوود وعبدالله زكي وصفاء محمد علي وعلوان خزعل وكرم وصفي وعباس الخلوئي) والممثلات من النساء وهن في الاصل راقصات في نفس الملهى ومنهن (ماري كونكا وبدرية محمد وفوزية جيجان وأمينة سعيد)، لقد قدم (لقلق زاده) اكثر من ٣٠٠ مسرحية مرتجلة بعضها قفشات ساخرة للظواهر الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت كالسخرية من تعليم الاطفال على يد الماللي ورجل وشعوذة المنتسبين برجال الدين المسمى (فتاح) و انتقاده للكثير من الظواهر الاجتماعية، لقد زار في فترة ثرائه عدد من البلدان المجاورة كتركيا والشام ولبنان وقدم العروض على خشبة ملاهيها.

في السنوات العشرة الاخيرة من حياته بدأ الناس ينفضون عنه ويبتعدون عن نمط فنه الذي يغلب عليه السذاجة لانه لم يتطور ولم يفكر بالزمن الذي تجاوز فنه الذي تغير في

حركات وكلمات (راشد أفندي) في دور (الهبش) التي يشاهدها في الليل ويعيدها اثناء عمله في الصباح امام اصدقائه ومعارفه الذي لمس منهم التشجيع والاحسان والاعجاب، ولكن مر الفن الاخباري بالاضمحلال وذلك في فترة الحرب الروسية العثمانية واصدار فرمانات بتجنيد الشباب الاجباري والذي عُرف بـ (السفر بـ) ويبدو ان التجنيد لم يطاله لانه من التبعية الايرانية حيث كان التجنيد يقتصر على التبعية العثمانية حصراً، حصل لقلق زاده على عمل كنادل في نادي الجيش العثماني وكانت بدايته الفعلية من هنا حيث اكتشف موهبته متعهد النساوي (توكلين خان) ثم اسدى له عمل مقدم نمرة (دور) الهبش في المقهى التي يمتلكها وبعد ان ذاع صيته انتقل الى مقهى عزاوي وكان معه مساعده المدعو (حسقل ابو الباطوات).

وقد انضم الى الجوق الذي شكله الفنان المصري (حسن سلامة) في ملهى الف ليلة وليلة وكان

هو لم يتعلم ولم يدخل الكتاتيب ولكنه تعلم القراءة والكتابة وكان يفك الخط بصعوبة وكان يتكلم العربية والفارسية والتركية والهندية وهذه اللغات كانت شائعة في بغداد، عمل منذ طفولته بحرف مختلفة واستقر في شبابه على حرفة صناعة (الامشاط الخشبية) وهذا يدل على انه نشأ في وسط فقير ومعوز، عندما كان صغيراً استرعت انتباهه فصول الاخباري البغدادي (جاسم ابن الحمامة) وزميله منصور اللذان كانا من سكنة محلة (العوينه) وكانا يعرضان فصلهما في مقهى (التبانة) في محلة الفصل أواخر القرن التاسع عشر، وتأثر بعروض الاخباري وشخصية (الهبش) وكان يضطر للمبيت في (خان الجبن) في الكرخ خوفاً من قطاع الطرق الذين يكمنون ليلاً في بساطين الكاظمية الكثيرة.

كانت البداية عام ١٩١٥ وكان العراق تحت الحكم العثماني حين بدأ (كامل عبد المهدي) يقلد

# الإخباريون جعفر لقلق زادة وفنون اللهو والتسلية في المقاهي العراقية القديمة

لطيف حسن



كان المقهى هو المكان الوحيد الذي يجمع البالغين من الرجال في اوقات فراغهم، فاضافة الى انه كان مكان لتبادل الاخبار وقضاء الوقت واللهو، و اللقاء بالاصدقاء (الزكريته) العزاب الذي كان من المعتاد في ذلك الوقت دعوتهم الى البيت الذي فيه حريم، والمقهى ايضا كان مقرا لتصرف وتنظيم وتنسيق الاعمال فيما بين التجار او الحرفيين او حتى اصحاب الهواية الواحدة، وكان يجتمع في هذه المقاهي رواد من نوعية واحدة، كان يكونوا من صنعة وحرفة واحدة، وكانت المقاهي تسمى باسم روادها كمقهى التجار ومقهى البنائين ومقهى المطيرجية، وكانت هذه المقاهي تتنافس فيما بينها لجذب الزبائن اليها بأستئجار المغنين وقراء المقام العروقيين في ذلك الزمان، والقصصونية رواة الحكايات والقصص والملاحم الشعبية، وكانت تقدم بعضها عروض (القره قوز) و (خيال الظل)، وتختص بعضها في اقامة مباريات صراع الديكة والكباش، وقسم آخر منها يملك الجفر للالعاب الزورخانه، وتشغل جميع هذه المقاهي في سهرات ليالي رمضان بلعبة (الحبيس) الشعبية.

هكذا كان حال المقاهي في العراق حتى بداية القرن الماضي، الا ان بعض هذه المقاهي (لاسيما في منطقة الميدان في بغداد) طورت عروضها وما كانت تقدمه للزبائن على غرار ماكان موجودا في حلب وايران من ملاهي، فاستقدمت راقصات ومغنيات من سوريا ولبنان ومصر، وكان هذا الاستقدام يعتبر تحولا نوعيا في الاخلاق الاجتماعية العامة، وأقبالا منفتحا على فنون كانت ممنوعة علنا باعتبارها من المفاسد والكفر.

وتحت تأثير هذا التطور الاجتماعي، غيرت هذه المقاهي شكل بناؤها بحيث وفرت في المقهى اماكن خاصة للرقص اشبه بخشبة المسرح سميت (بالمرقص) وتحول بعضها فعلا الى ملهى، مثل مقهى سبع في الميدان، الذي تحول اسمه الى ملهى سبع.

يقول عبد الكريم العلاف انه كان اول مقهى اقيم فيه مرقص هو (مقهى سبع) الواقع في الميدان وكان ذلك في عام ١٩٠٧، وجاء سبع بالعلمان المختئين الذي يسمى الواحد منهم بالعامية (شعار)....، وربما جاءت التسمية من انهم كانوا يطيلون شعور رؤوسهم ويزيلون ويجفون الشعر عن وجوههم وسيقاتهم كما تفعل النساء، ويلبسون الفساتين النسائية.

ويؤكد معظم المؤرخون على انه لم تصعد على المرقص في هذه المقاهي امرأة الا في عام ١٩٠٨، عندما قدمت الى بغداد من حلب راقصة يهودية تدعى (رحلو) بنت فريده العراطة الملقبة (جرادة) بدأت ترقص في (مقهى سبع)، ثم بدأت باقي المقاهي تقلد مقهى سبع بجلب الراقصات والمطربات للعمل في مرقصها من الشام ولبنان ومصر.

و توالى فيما بعد المقاهي التي وفرت فيها منصات الرقص، على شاكلة مقهى سبع، كمقهى العزاوي ومقهى السواس وغيرها من المقاهي.

جرى كل هذا التطور في مجال اللهو في بغداد، قبيل قيام الحرب العالمية الاولى، وبقي لفترة طويلة هو المعبر عن مفهوم (الشانو) او نمر الفودفيل التمثيلية الهزلية المسماة (بالاخباريون) وهو من فنون الشارع الشعبي الذي انتقل الى (المقاهي والملاهي) تقدم في الاماسي مع الطرب كمنزلة ترفيحية عن الزبائن، وأخذت تقدم يوميا (في الملاهي) كفقرة ختامية لحفلاتها.

وتحولت هذه المقاهي والملاهي وعروض الشانو،

الى مايشبه الارضية والقاعدة التي انعشت بذرة تمثيلية التسلية والكوميديا الساخرة، فعندما وفد المسرح الدرامي الى العراق في نفس هذه الفترة، كان هذا هو الجو الفني السائد، وكان المفهوم الشائع عن التمثيل بين الناس، هو فن (الشانو)، وقد شاب منذ البداية نظرة الناس الى رجال المسرح الاوائل والى مهنتهم الأحتقار الشديد على اساس هذه الخلفية، وكانوا يشبهون الممثل تحقيرا في ذلك الزمان (بالشعار) وأعتبروهم اجتماعيا (الكل على حد سواء) عبارة عن مجموعة من الوضاع والمحتطين اخلاقيا، و رسميا كانت لاتؤخذ شهادتهم في المحاكم، وأجتماعيا لايزوجون من بنات العوائل.

اخذت هذه المقاهي وغيرها من دور الملاهي تقدم بانتظام نمر (الاخباريون)، وهي نمر تمثيلية فطرية ساخرة تقدم ارتجالا، لها قواعد وتقاليد في الصنعة، كانت تقدم في الاسواق والشوارع، من قبل جماعة من الاهالي، هواة من غير المحترفين، يختارون حدثا نيا ما في المدينة، يعيدون تشخيص هذا الحدث اليومي المختار بشكل هزلي ساخر مبالغ فيه ممزوج بالنكتة البذيئة والرقص والحركات الماجنة، ويلقون على الحدث وقد يبدون منه موقفا، واكثر هذه الاحداث احداث سياسية او وقائع اجتماعية. هو بأختصار فن شعبي ناقد بشكل جارح لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية العائشة، يتصف بالعفوية والفطرية، غارق في القدم، من فنون شوارع القرون الوسطى يصعب تحديد بداياته بدقة.

يعرف الاب الكرملي الاخباريون بما يلي (....) قوم من العامية يعرفون بالأخباريين او الاخباريات، وهم قوم يتشبهون بالعلماء، وفي زيهم وعلمهم استهزاء بأهل العلم، فيلقى احدهم احاجي على صاحبه، او صاحبه وتلك الاحاجي بذيئة، فاذا جاء تفسيرها، أو أحسن التلغظ بما عسر من الفاظها المتكررة، القى عليه بأحجية ثانية، حتى يسقط، واذا سقط، يجبل في وسط المجلس ويرقص رقصا مخلا بالآداب، والظاهر ان الاخباريون هو من يروي الاخبار، والظاهر ان (الاخباريون) له جذور تاريخية في الوجود، لذلك نجد ان سعد النفتزاني (٧٩٣هـ -١٣٩٠م) في شرحه للعقيدة النفسية ينص على ان "لوجلس احد في مكان مرتفع، وحوله جماعة يسألونه في مسائل مضحكة، ويضربونه بالوسائد بعد اخبارهم، يكفرون جميعا، كذلك نجد في (غالية المواعظ) لخير الدين نعمان الألووسي (١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م) مايلي: - رجل يجلس في مكان مرتفع ويسألون منه مسائل بطريقة الاستهزاء، ثم

يضربونه بالوسائد، فأنهم كفروا جميعا، وكذا لو لم يجلس في مكان مرتفع، وكذلك اذا تشبه المضحك المذكور بقاض او مفتي او خطيب او نحوهم، وهذا الفعل شائع في زماننا، ويسمون المضحك المذكور (بالاخباريون) مع انه المطابق للحال تسميته (بالاخباريون) فانا لله وانا اليه لراجعون).

يذكر يوسف العاني عن فن (الاخباريون)، الذي استلهم منها جو كتابة مسرحيته (الخرابه - ١٩٦٨) قائلا ((في العشرينات وقبلها بسنوات، كانت في مدينة النجف مقهى صغير، نسميها نحن في العراق (جاخان) وكانت لقدمها تسمى (الخرابه) صاحبها رجل طيب يدعى (جعفر الكابلي) لايلتقي في المقهى الا عدد قليل من ابناء المدينة، يشربون الشاي، ويجتمعون يوميا لكي يمثلوا تمثيلات يقومون هم بتأليفها، ويؤدون ادوارهم ارتجالا... دون ان يكون هناك متفرج في اكثر الاحيان، والزبون الذي يدخل المقهى لايد ان يشارك في التمثيلية (....) في كل يوم كانت هناك تمثيلية، وقد يتكرر موضوع التمثيلية لعدة ايام، لكن اضافات عديدة تطراء عليها... والشخص قد تتغير، وكان موضوع التمثيلية ينبثق من الحالة التي فيها رواد المقهى، فتارة يسخرون من موقف الانكليز تجاه النوار في النجف عام ١٩١٨، وتارة يقلدون بأصواتهم وبالحرركات قطيعا من الحيوانات، كل منهم يمثل حيوانا، وواحد منهم يمثل صاحب القطيع، ومن خلال كل ذلك يصدرن حكمهم على (الحالة)... ويظل هذا العرض مستمرا على قدر استمرار أثر الحدث على المدينة.... في هذه المقهى اعتاد ان يلتقي فيها بشكل دائم، شاعر وبقال ومتخلف عقليا (يتصرف مادام هو في المقهى بشكل طبيعي وكأي انسان عاقل)، كان زبائن المقهى الاخرين يلتقون بهم في كل يوم حتى ماتوا الواحد بعد الاخر، وأخرهم الذي مات صاحب المقهى (جعفر الحاج عبدالحسين الكابلي)....))

ولم يجر لحد الآن تناول فن (الاخباريون في العراق) بالشكل الكافي الذي يستحقه، بالرغم من انه يعتبر الجذر التراثي الوطني الوحيد من فنون الشارع الذي استفاد منه وتأثر بكثير من تقاليد المسرح الكوميدي العراقي المعاصر. ولايد ان نتوقف عند الاجحاف والتجاهل الذي تعرض له في حياته وبعد مماته ابرز وأخر فناني الاخباريون العظام، رائد الكوميديا الارتجالية في العراق (جعفر لقلق زاده) الذي له فضل المساهمة الأساسية في نقل عروض هذا الفن الشعبي من الشارع والساحات العامة، الى حلبات المراقص في المقاهي البغدادية القديمة، ثم تطوير هذا الفن ليقدم على خشبات مسارح الملاهي. ليست لدينا حتى الان أي معلومات دقيقة تماما عن خلفية واصل هذا الفنان، كل ما نعرفه عن تاريخ ميلاده، انه قد ولد في اواخر القرن التاسع عشر، وما نعرفه عن نشأته الاولى ضئيل جدا ومشوش، بل اننا غير متأكدين حتى من اسمه الحقيقي، هل هو كامل عبدالمهدي؟ ام جعفر القزويني؟ أم سلمان الاخباريون؟ ام ان له اسما آخر غير هذه الاسماء التي عرف بها.

عاش بينهم ويعرفه أهالي الكاظمية منذ الصغر، الا انه لاحد يعرف بدقة هل هو من مواليد الكاظمية، ام انه من ولادة قزوين وحملته عائلته معها طفلا وهي تهاجر الى العراق وتستقر في مدينة الكاظمية بالقرب من مرقد الامام جعفر الصادق، جريا على عادة المهاجرين الايرانيين في السكن تبركا الى جانب أضرحة آل البيت من ذرية علي ابن ابي طالب في بغداد وكربلاء والنجف، ام انه



لم يتعرف الناس البسطاء في مدن وارياف العراق (عدا مراكز المدن المهمة) في اواخرالدولة العثمانية على المسرح، ولم يكن العراق يملك النوادي الثقافية والاجتماعية بالمعنى الذي نعرفه الان حتى بداية منتصف القرن التاسع عشر، وكان العامة يتسلون في اوقات فراغهم في المقاهي والخانات، اما لتصرف المصالح فيما بينهم، او للتسلية، اقصد بالعامية هنا الرجال بالتحديد في مجتمعنا الذكوري الذي كان يغلط ابواب ومنافذ اللهو العام على النساء، وكان يمنعون من الخروج لوحدهن بدون محرم الى الشارع او لزيارة الاقارب والجيران بدون سبب اضطراري موجب (المرض أوالموت).



وقد اشتهرت بغداد بكثرة مقاهيها وخاناتها العمارة، وقد وصفت بغداد و المدن العراقية آنذاك، كما نكر على الوردي (١)، بأنها اكثر مدن العالم في عدد مقاهيها وخاناتها نسبة لعدد سكانها، ويصف السواح الغربيين الذين شاهدوا بغداد في تلك الفترة للدلالة على كثرة مقاهيها، بأن هناك بين كل مقهى ومقهى، يوجد مقهى.

ويعتبر يعقوب سر كيسى ان اول مقهى اسس في بغداد كان في عهد الوالي (جغاله زاده) صاحب الخان المعروف (بخان جغان) وذلك في عام ١٥٨٦ ومكانه الان قرب المدرسة المستنصرية (٢) كانت هذه المقاهي والخانات في البداية لايرتادها للو الا المستهترون وطلاب اللذة، وبنيت (الخانات منها تحديدا في عصور اسبق من العصر العباسي بكثير) كمراكز تجارية ولسكن واستراحة الأجانب من التجار والغرباء المارين الذين ينزلون في هذه الخانات للمكوث المؤقت فيها والاستراحة، ولتفريغ حمولتهم فيها وتصريفها بالجملة.

وكان من عادة اصحاب المقاهي استخدام الغلمان الحسنى الطلعة لتقديم القهوة والمشروبات الى الزبائن، وكانت تعرف في هذه المقاهي الجوق الموسيقية الغنائية التي كانت تسمى (بالجالغي) وكانوا في البداية يكيفون مكانا في المقهى الى ما يشبه خشبة المسرح سمي (بالتخت) نسبة الى مصاطب المقهى (التخوت) التي كانت عريضة وممتية تجمع كل اثنتان منهما مع بعض وتستخدم كمنصة، يجلس عليها العازفون ومغني المقام او البستة ثم اصبحت كلمة (التخت) تعني الجوقة الموسيقية والكورس، ويذكر يوسف العاني عن هذه المقاهي في ايامه انه لم يكن مسموحا للشباب ارتياد المقهى الا بعد ان تظهر لحاهم.

انتقل وحده من دون عائلته لظروف غير واضحة من ايران الى العراق في اوائل القرن الماضي وهو في مقتبل العمر.

ومنهم من ينكر عليه حتى انتمائه لأب معروف او أصل، الا انهم يتفقون على انه عاش طويلا في الكاظمية وينحدر من اصول ايرانية، ولم تترك قدسية مدينة الكاظمية واجواؤها الدينية اليومية عمليا أي اثر على شخصيته البوهيمية وسلوكه الاخلاقي الراض والمناقض الذي عرف عنه.

لم يتعلم في المدارس، ويقال عنه أنه لم يدخل حتى الكتابات لتعلم القراءة والكتابة في حياته ويكاد يفك الخط بصعوبة، عمل منذ الطفولة بحرف مختلفة، واستقر في شبابه على حرفة صناعة الامشاط الخشبية، وهذا يدل على انه قد نشأ في كنف وسط فقير ومعوز.

وعندما كان صبيا في مقتبل العمر، استرعت انتباهه فصول الاخباري البغدادي جاسم ابن الحجامه وزمليه منصور اللذان كانا من سكنة محلة (العويته) وكانا يعرضان فصلهما منذ بداية القرن الماضي وحتى قبيل بدء الحرب العالمية الاولى في مقهى (الشبانة) في محلة (الفضل)، الا انه أعجب وتأثر عميقا بعروض الاخباري وشخصية (الهبش) التي كان يؤديها راشد بمعاونة زميله الصاج محمود، وقد عشق هذا فنهما وتعلق بما كانا يقدمان، بحيث لم ينقطع عن مشاهدة عروضهم التي كانت تقدم في بغداد ليلا، فكان يضطر عند حضوره هذه العروض البعيدة عن مكان سكنه، ان يببب ليلته في (خان الجبن) بالكرخ لخطورة طريق العودة ليلا الى الكاظمية بسبب كثرة (المسلحية) الذين يكمنون في البساتين الكثيرة التي كانت تحف بجانبى الطريق، وأخذ يقلد راشد افندي في دور (الهبش) ويعيد في اليوم الثاني ما كان قد شاهده امام معارفه، وعندما لمس منهم الاستحسان والتشجيع، بدء عروضه الخاصة في مناسبات الافراح الخاصة والاعراس.

الا ان ظروف الحرب الروسية - العثمانية (سفر بر) ترك اثره الكبير السلبي على سير عروض الاخباري في العراق، الذي تراجع بحدسه وسرعه وكاد ان يضمحل تماما جراء فرض الفرمات العسكرية الشديدة والأجرات الاستثنائية التي كانت ثقيلة جدا على المواطنين العراقيين، لتموين ودعم الجيش العثماني بالجنود، فكان يجري الاستيلاء بالقوة على المحاصيل الزراعية والثروات الحيوانية المنتجة، وبدون مقابل تقريبا، ويسوق كل من بلغ الرابعة عشر من الشباب الى جبهة الحرب، والكبار منهم يؤخذون لأعمال السخرة دعما للحرب، ولم يكن تراجع فن الاخباري هذا الفن العفوي والناقد للحياة اليومية في هذه الفترة يعود فقط الى سبب عدم تشجيع العثمانيين له كفن يثير موجع وحفيظة الناس ضدهم أثناء حملتهم على الجبهة الروسية، بل الناس انفسهم انقضوا وانشغلوا عنه بتدبير امور حياتهم الاولية التي اصبحت سيرة جدا لاتطاق، ومدارات بلواهم التي عاشوها في تلك الفترة.

عندما يتذكر جعفر لقلق زاده الفترة التي قضاها نادلا في نادي الجيش العثماني في مقابلة صحفية اجريت له، لا يشير الى كيفية تملصه من الخدمة العسكرية وغض العثمانيين النظر عنه وهو في سن التجنيد، ونجاته من التفسير الى جبهة الموت، وربما تعيينه الايرانية كانت وراء سبب عدم شموله بالتجنيد، حاله حال اقرانه من الشباب العراقي الذين كانوا يخضعون للتعبية العثمانية، واخذوا عنوة من أسرهم الى حملة (سفر بر) وانقطعت اخبارهم ولم يعودوا الى بيوتهم بعدها، ويذكر ان بدايته الفعلية في الاخباري كانت بعد مباشرة عمله في هذا النادي الذي اكتشف مواهبه متعهد النادي (تولكين خان) يبدو من الاسم انه ارمني، فأخضعه للتدريب على يدي ابراهيم سامي و ابراهيم عجمي قطان، ثم شغله كقدم لفرقة (الهبش) في مقهاه التي يملكها (مقهي طويق)، وبعد ان شاع صيته انتقل الى مقهى العزاوي، وبعدها اخذ يقدم قصوله في أشهر مقاهي وملاهي الميدان والكرخ في نفس الليلة

الواحدة، منتقلا بينها مع فرقته واكسسواراته وخيوله وحميمه التي كان يستخدمها في العرض، وشاع اسمه على كل لسان في العراق.

كان جعفر لقلق زاده، رغم ثقافته البسيطة والمحدودة يتكلم اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية التي كانت آنذاك لغات شائعة بين البغداديين، وكانت له علاقات صداقة بأشهر الكباريهات والملاهي التي تقدم النمر الترفيهية في المنطقة، يتابع اخبارها ويأخذ منها، وزار في فترات عزه وقراءته بلدان الجوار اسطنبول والشام ولبنان، وشاهد ماكان يقدم على خشبة كباريها وملاهيها وكان لاينحرج في أخذ المواضيع منها وتعريفها، لاسيما العروض التركية والمصرية، وقد شاهد علي الكسار ونجيب الريحاني وبيده مصابني، ويبدو انه قد تعرف على الاخيرين مباشرة، واعجب بالريحاني الذي اخذ يقلد له بعض شخصيات مسرحياته بعد تعريفها، وقد اشتهر بين رواد الملاهي في بغداد بشخصية (كشكش بيك) الشخصية النمطية الشهيرة التي كان يقدمها نجيب الريحاني، الى جانب شخصية (الهبش) الذي استعارها من معلمه الاول الاخباري راشد افندي. وشخصية (كشكش بيك) في الاصل المصري عمدة ريفي، تعود ان ينزل في القاهرة بعد جمع ايراد محصول الارض في نهاية كل موسم، وفي العاصمة تسرق نفوذه البغايا والراقصات والمحتالون، ليعود بعدها الى القرية مفلسا، ثم يعاود الكره بعد جني المحصول في السنة القادمة دون ان يتعظ ويتعلم. و(كشكش بيك) عند (جعفر لقلق زاده) يتحول الى شيخ او سركال عراقي ابله تضحك عليه في المدينة بنات الهوى والراقصات والسامسة، يعكس هنا ضمنا المرحلة التاريخية التي كان يمر بها العراق، ساخرا من التباين بين عقلية الريف القديمة المختلفة والبسيطة السانجة التي تصدق كلام افندية المدن، وبين عقلية اهل العاصمة المتمدنين، التي جلبت على الاحتتيال والمراوغة واللعب على الحبال وسرقة زوارها من الشيوخ والسراكل السنج، يعكس الصراع الذي كان دائرا آنذاك بين التقاليد والخلق المدينة والريف، الجديد والقديم، المدينة التي تستغل بلا اخلاق جهد الريف وتسرقه، والريف الغبي الساذج المغلوب على امره الذي لايفك عن علاقته بالمدينة ومحاولاته المتكررة ببذل الغالي والرخيص للمتعمق بمباهجها الحلم، رغم انه يكتشف في نهايه المسرحية انه قد خدع وعش وسرق، وسيعود مفلسا الى الريف، لكنه مع ذلك لايتوب على هذه العلاقة، ويكررها بعد جني المحصول في السنة التالية كأن شيئا لم يحدث.

وقد قدم خلال حياته اكثر من ثلاثمائة تمثيلية مرتجلة من الفودفيل، بعضها فحشيات ساخرة للظواهر الاجتماعية السائدة، كالسخرية من طريقة تعليم الاطفال على يد المالاي آنذاك، ودجل وشعوذة بعض رجال الدين (الفتاح فالية) الفتاح فالية والمدعين بالقدرة على آتيان السحر، والنفاق الاجتماعي، وما الى ذلك، وكانت تستضيفه الفرق المسرحية العراقية في عروضها، ليقدّم أخبارياته الهزلية بين الفصول والاستراحات، وأيضا كانت تفعل المدارس في حفلاتها التي اعتادت على تقديمها سنويا.

لقد ارتبط أسلوب (جعفر لقلق زاده) الساخر الهزلي بالمسرح الكوميدي في العراق فيما بعد، وترك بصماته على اعمال كل رواد الكوميديا من بعده بهذا الشكل اوزاك، لاسيما كتابات شهاب القصب، ويوسف العاني في بداياته، و عبد الله العزاوي، وعلى الفرق المسرحية، منها (فرقة الزبانيه) التي تكونت من مجموعة صغيرة مرحلة من طلاب معهد الفنون الجميلة، اشتهرت بتقديم المسرحية الكوميديّة الأرتجالية التي تعتمد على ابتكار واريحية ممثلي الفرقة، وعلى نمط جميع الأعمال الكوميديّة لفرقة (١٤) تموز للتمثيل)، ومما يؤسف له ان مابقي لنا من تراث الفنان يكاد ان يكون لاشيء، والمعلومات التفصيلية عن تمثيلياته و اعماله شحيحة للغاية، حالها حال كل الفنون الأرتجالية، والموجود من تراثه لحد الان

قليل، مقارنة بغنى وكثرة انتاجه وذيوع صيته بين الناس، وقد اخذ الموت الان معظم مجاليه من الفنانين ومعاصريه ومشاهديه، ممايصعب ويعقد عملية رسم صورة منصفة ودقيقة لعروضه الآن، بعيدة عن التشويه لفصوله التي شغلت العقول وسلت الناس لعقود طويلة، سيما وانه كان فنا ارتجاليا صعب حفظه، الا ان تنفا من بعض اغاني تمثيلياته كان يحفظها محبي فنه من بعده، والذين قد غادرونا جميعا الآن دون ان تحفظ عنهم، من امثال المرحوم حسن العمري الذي كان يتذكر بعض هذه الاغاني التي منها على سبيل المثال: -

ريض يا حلو الطول وارحم بيه  
مجبور أنه بيك وماتحن عليه  
عندي يشماغ فرفروري جديد مهتل  
مينلبس بعكال وما يرمه اللف  
ضمينه انه بصندوق خوف يتلف  
أخاف أطلعه و يتلف بيديه

×××  
عندي عباية جوخ شغل المعمل  
لاحر لبرد لامطر تتحمل  
من البسها اصير مكل  
الفين ركعه مرکهه وستمية  
×××  
عندي تجارة مال كلها مكمرك  
اربعتش عكوكه ورك  
عندي بساتين اربعة تحمل البك  
عندي زرع خرثوب بالبرية

وقد عمل معه خلال مشواره الطويل في الملاهي لفيف واسع من الفنانين من الذين رافقوه رحلته الفنيه منذ بدايات القرن الماضي وحتى نهاية الخمسينات، اجيال من الممثلين نذكر اشهرهم، حسقييل ابو الباطوات، وعباس حلاوي منادي اعلانات دور السينما في بغداد، والممثل الهزلي المعروف صفاء محمد علي وجمعة الشلبي، ومن الممثلات الأوائل استعان بكثير من (الارتيست) فنانات الملاهي من المصريات والشاميات والعراقيات، بدءا من الراقصة رحلو العراطة واختها زكية، وحتى آخرهن عفيفة اسكندر.

ولم يكتب بأصناف كثيرا عن هذا الفنان حتى فترة قصيرة، لربما يعود سبب هذا الأهمال صعوبة الكتابة عن هذا الفنان لقلّة المصادر الدقيقة وندرة المعلومات الشخصية عنه التي تعرض اكثره للنسان، وما تبقى منه هو ماهو مشوه من الاخبار التي كانت تتشاع عنه، عدا محاولة الناقد علي مزاحم عباس الرائدة والتميزة في توثيق سيرته ونشاطه، والتفاته من يوسف العاني نشرت في جريدة الجمهورية في حينها، وعاد في تناوله لهذا الفنان مرة أخرى قريبا اشبه بالأعذار عن الحيف الذي لحق بالفنان من قبل الفنانين انفسهم وقسوتهم عليه خلال حياته وبعد موته المأساوي، وفاروق اوهان تناوله ضمن فصل من كتابه في معالجته الشاملة لفن الاخباري في العالم العربي و سبق ان أستلهم عادل كاظم شخصية (جعفر لقلق زاده) في مسرحية (نديمكم هذا المساء) من زاوية أ ستعرض حياته من خلاله احداث عصره.

الا انه بعد عام ٢٠٠٣، اعاد الكثير من النقاد والمهتمون بشأن المسرح العراقي تسليط الاضواء على هذا الفنان المهمل ومن زوايا مختلفة، كأنهم يعيدون اكتشافه ويردون له الاعتبار، مع الإشارة انه يغلب على معظم هذه الكتابات الأناصاف المتأخر، وقسم منها ابداء الندم على تعاليمهم واستخفافهم بنمط فنه اثناء حياته، واهمال الجميع ذكر دوره باعتباره كانت نقطة مضيئة في سماء المسرح العراقي.

وكان بعض الدارسين في الماضي، عندما يتعذر عليهم تماما تجاهل دوره في بناء صرح المسرح العراقي، يوردون اسمه على استحياء في البحوث الجامعية الاولى عن المسرح العراقي التي ظهرت في السبعينات من القرن الماضي، ويقسون في حكمهم السلبي على مستوى فنه، مما ينم عن عدم الفهم الصحيح لظروف هذا الفنان، ساقطين في

خطأ التطابق مع وجهة النظر الاجتماعية التي كانت سائدة حول الفنان في زمن الفنان، وتجاهل نوع علاقة المجتمع الملتبسة آنذاك بالفنان والمسرح، من بين هؤلاء الدكتور عمر الطالب الذي قيم مسرح جعفر لقلق زاده، ببضعة سطور مستخفة غير منصفة، اذ لم يفرد الباحث لهذا الفنان الهام في (رسالة الماجستير التي قدمها في القاهرة) سوى سطرين فقط.

ان هذا الفنان الكبير الذي ترك بصماته العميقة بهذا الشكل واذ (في حياته وبعد مماته) على مجمل فن الكوميديا في العراق، كان فنانا بسيطا، غير متعلم ومحدود الثقافة، ولو لم يكن كذلك، لاستطاع ان يطور فن عروض تمثيليات الكابارية الى وضع آخر كما فعل في مصر مجاليه نجيب الريحاني في مصر الذي انطلق مثله الى عالم المسرح من النمر الاتجالية على منصات الكباريه والملاهي التي عمل عليها في بداياته الفنية المشابهة، الا ان الريحاني يختلف عن جعفر لقلق زاده، بالثقافة والتعلم والاطلاع على المسرح الاوربي، العوامل الحاسمة في تطورنمره الارتجالية الفودفولية البسيطة، الى المسرح الكوميدي العظيم الذي تركه من بعده.

كان جعفر لقلق زاده في حياته المديدة، بغض النظر عن مناقشة مستوى ونمط تمثيلياته، بمثابة المسجل للتاريخ الاجتماعي والسياسي للعراق، شاهدا وملقا ساخرا على تفاصيل احداثها اليومية طوال كل العهود التي مرت على العراق الحديث، ابتداء من العهد العثماني والاحتلال البريطاني، وقيام الدولة العراقية الملكية، ومن ثم النظام الجمهوري، بعهديه الثوري، وعهد سلسلة التراجع الديموي المؤلم والانتقال عن اهداف الثورة بعد عام ١٩٦٣.

ففي السنوات العشرة الاخيرة من حياته، بدأ الناس ينفخسون ويتبعدون عن نمط فنه الذي يغلب عليه الساذجة، لأنه لم يتطور ولم يفكر بالزمن الذي تجاوزه وتجاوز فنه، لقد تغير في ستينات القرن الماضي ذوق ونظرة الناس الى فنه بعد ان امتلك المسرح العراقي بعد ثورة ١٩٥٨ رسالة اخرى غير التسلية والنكتة، واحتل نشاط وعمل خريجي الدورات المتتالية لطلاب معهد الفنون الجميلة في المسرح اهمية كبيرة في صياغة ذوق جديد غير مسبوق للجمهور، وجراء هذا التحول في بوصلة الجمهور، بدأت مسارح الملاهي التي كان يعمل عليها تقلص من ايام عروض نمرة لتراجع الاقبال عليها، ثم استغنت عنها تماما بعد ان اصبحت غير مجزية ماديا، ومنذ نهايات ستينات القرن الماضي، عاش الفنان وحيدا معدما وقد تنكر وانفض عنه اقرب اصدقائه ومعارفه، وعمل لسد الرمق اعمالا خدمية في الملاهي آخرها بوابا وحارسا في ملهى الخيام، الذي كانت تمتلكه الطربة لميعة توفيق، التي تكفلت برعايته ومصاريفه وايجار سكنه (غرفة صغيرة في خان في الكاظمية، و في خبز آخر غرفة صغيرة تقع في محلة الحيدرخانة) حتى وفاته بعدما اشتدت عليه امراض الشيخوخة واقعدته الشلل عن الحركة في رمضان من ايلول عام ١٩٧٢، وقد توفي في مستشفى المجيدية في نفس العام ودفن في مقبرة جامع برانا، (ومنهم من يذكر انه توفي في عام ١٩٦٩ ودفن على نفقة البلدية في مقبرة الغزالي) (التاريخ الاول ١٩٧٢ وقبره في مقبرة برانا هو الاقرب الى الصحة).

وكما لف الغموض تاريخ ولادته ونشأته الاولى، كما في المرويات عن ابطال الخرافات والأساطير، جرى بفعل الإهمال نسيان تاريخ وفاته وظروفها بدقة، ولايعرف احد حتى مكان قبره بشكل اكيد، ولحد الان لم تبادر أي جهة، ولم يتطوع احد ما ليقوم بالتحري والتحقق العلمي المنصف بهدف توثيق سيرة هذا الفنان الذي لن يتكرر.

وهكذا دفن هذا الفنان الكبير، ولم يخرج في تشييع جنازته او وداعه الأخير أي فنان، ولا حتى أي احد من أصدقائه الذين كانوا بالمئات في أيام سطوع نجمه وثرائه، ولم تذكر صحف اليوم التالي وما بعدها اي خبر عن وفاته .

موقع الأرشيف

# من تاريخنا الاجتماعي المندرس.. الإخباري من ابن الحجاممة الى جعفر اغا لقلق زادة

رفعة عبد الرزاق محمد



من علامات المسرح العراقي في عهده البدائي الاول في اوائل القرن الماضي، ولجلب الكثير من المشاهدين وللتقليل من وطأة حوادث المسرحيات، ابتكر القائمون على المسارح يومذاك الفواصل الفكاهية بين فصول المسرحيات، حتى بلغ الامر ان يقدم هذا الفاصل وحده في المسارح.. وكان يطلق على الممثل الهزلي لدى البغداديين اسم الاخباري، وهو الذي يقدم الفصل الفكاهي الساخر بالتهريج والكلام البذيء والحركات الراقصة، ومنها ماهو مخل بالاداب.



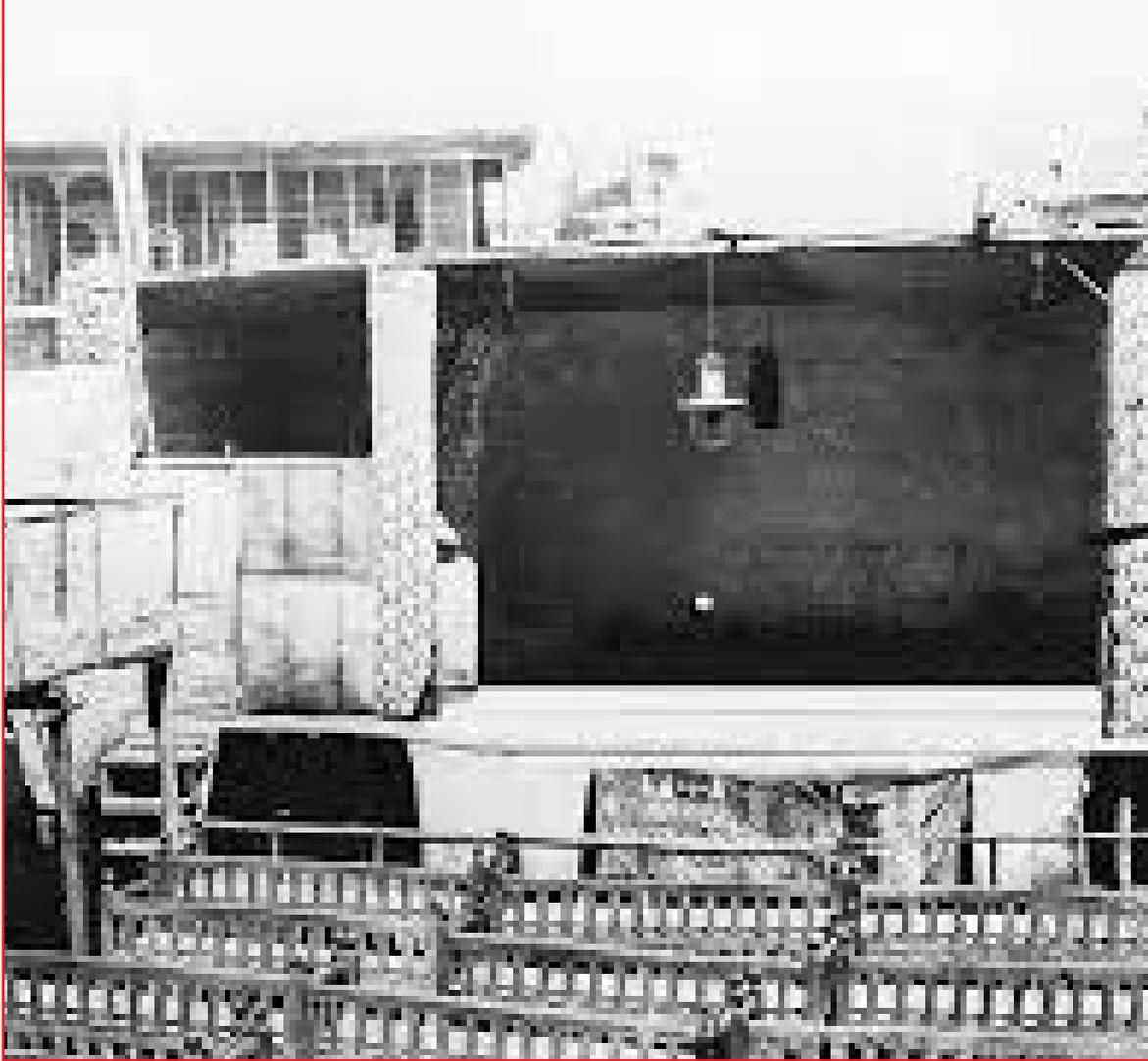
وقد ذكر العلامة نعمان خير الدين الالوسي في كتابه (غالية المواعظ): ان المضحك اذا تشبهه بقاض او مفت او خطيب واتى بحركات مضحكة كفر وكفر المستمعون اليه معه. وان المطابق للحال تسميته بالاكفاري وليس بالاكفاري (ج) ص ٣٥

عرف المدعو ابن الحجاممة بانّه كان اشهر الاخباريين في بغداد، وقال من ادركه انه الحاج جاسم بن الحجاممة من محلة (العوينة) وان مساعده يدعى منصور، وكانا يتقوهان بالفاظ غريبة بينهما لاضحاح

الناس. وكان ابن الحجاممة يخفي جرابا صغيرا بين ملبسه فاذا اخطأ منصور في الاجابة اخرج رئيسه جرابه واهمال على منصور ضربا مبرحا فيكثر ضحك الحاضرين، وتوفي ابن الحجاممة قبيل الحرب العالمية الاولى.

كتب الاب انستاس ماري الكرمللي في مجلة المشرق سنة ١٩٠٦ مقالا بعنوان (المرقع وشبوغه عند جميع الامم) قال فيه:

اما اليوم ففي الولاثم و الاعراس ومجالس الافراح ولاسيما في ايام المواسم والاعياد يوجد في بغداد قوم من العامة يعرفون بالاكفاريين والاكفاريات وهم قوم يتشبهون بالعلماء في زيهم وعملهم استهزاء وسخرية باهل العلم فيلقى احدهم احاجي على صاحبه او صاحبه وتلك الاحاجي بذئثة، فان اجاد تفسيرها او احسن التلغظ بما عسر من الفاظها المتكررة يلقي عليه احجية اخرى حتى يسقط، فان سقط يجعل في وسطه المجلس ويرقص رقصا مخلا بالاداب. والظاهر ان الاخباري في الاصل من يروي الاخبار. وفي كتب الدين الزجر عن مجالستهم وحضور ملاعبهم، ومن ذلك ما قاله السعد في شرح النسفية: لو جلس احد في مكان مرتفع وحوله جماعة يسألونه مسائل ويضحكونه ويضربونه بالوسائد بعد اخبارهم يكفرون



(لراجعون).

ان اشهر اخباري يقوم بالفواصل الساخرة الهزلية في القرن الماضي وبه انتهى العهد بهذا الصنف من التمثيل هو المشهور بجعفر اغا لقلق زادة. وقيل ان اصوله من بلاد قزوین في ايران ولتقلت اسرته الى الكاظمية وسكنت فيها، ولا يعرف على وجه التحقيق اسمه الحقيقي فهل هو كامل عبد المهدي القادم من كربلاء؟ ام جعفر القزويني؟ ام سلمان الاخباري؟ ام ان له اسما اخر غير هذه الأسماء. ويعرف من اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية. عندما كان صغيرا استرعت انتباهه فصول الاخباري البغدادي جاسم ابن الحجاممة وزميله منصور، وكانا يعرضان فصلهما منذ اخر القرن التاسع عشر وحتى قبيل الحرب العالمية الاولى في مقهى التبانة في محلة الفضل.

ومما كتب عنه: البداية كانت عام ١٩١٥م، وكان العراق تحت الحكم العثماني، حيث بدأ كامل عبد المهدي والمعروف باسم جعفر اغا لقلق زاده يقلد حركات وكلمات راشد أفندي في دور الهبش التي يشاهدها في الليل، ويعيدها اثناء عمله في صباح اليوم التالي، وبعد ان ذاع صيته انتقل إلى مقهى عز اوي. وقد انضم إلى الجوق الذي شكله الفنان المصري حسن سلامة في ملهى الف ليلة وليلة وكان في عضوية هذا الجوق إضافة إلى جعفر لقلق زادة كل من: اليا داود وعبد الله زكي وصفاة محمد علي وعلوان خزعل وأكرم وصفي

وعباس الخلوتي وإبراهيم الشخلي، والممثلات من النساء وهن في الاصل راقصات في نفس المهلى: ماري كونكا وبدرية محمد وفوزية جيجان وأمينة سعيد. وبعدها اخذ يقدم فصوله منتقلا بين أكثر من مقهى من مقاهي بغداد في ليلة واحدة، مستنصحا معه فرقة واكسسواراته وخيله وحميره التي يستخدمها في عروضه المختلفة، واصبح اسمه مشهورا ومعروفا وذاع على كل لسان في العراق.

في السنوات العشرة الأخيرة من حياته بدأ الناس ينفضون ويبتعدون عن نمط فنه، الذي يغلب عليه السذاجة، لأنه لم يتطور ولم يفكر بالزمن الذي تجاوزه وتجاوز فنه. فتم الاستغناء عنها تماما بعد أن أصبحت غير مجزية ماديا. ومنذ ستينيات القرن العشرين عاش هذا الفنان وحيدا معدما، بعد ان تنكر وأنقض عنه أقرب أصدقائه ومعارفه، وعمل لسد الرميح أعمالا خدمية في الملاهي آخرها حارسا وبوابا في ملهى الخيام، الذي كانت تملكه المطربة لميعة توفيق التي تكفلت برعايته ومصاريفه وإيجار سكنه، وهو عبارة عن غرفة صغيرة في في الحيدرخانة، حتى وفاته في مستشفى الجمهوري عام ١٩٧٢م، ودفن في مقبرة جامع براتنا. في عام ١٩٨٤م، اعد الكاتب العراقي عادل كاظم مسرحية بعنوان، نديمكم هذا المساء، تناول فيها حياة جعفر لقلق زاده، وكانت المسرحية من اخراج محسن العزاوي وقد لاقت نجاحا كبيرا..

# جعفر اغا لقلق زاده الممثل الإرتجالي الفطري

وليد الصكر



جعفر اغا لقلق زاده ممثل إرتجالي كوميدي بالفطرة، أثرى المسرح العراقي بما يعرف بالفن الاخباري.



## ولادته

ليس لدينا معلومات كافية عن حياة هذا الفنان، كل ما نعرفه إنه ولد في أواخر القرن التاسع عشر، اما نشأته الأولى فالمعلومات عنها ايضا قليلة وغير واضحة، وحتى اسمه الحقيقي غير متأكد من أنه فهل هو كامل عبد المهدي القادم من كربلاء؟ أم جعفر القزويني؟ أم سلمان الأخباري؟ أم ان له اسما اخر غير هذه الاسماء.

## السيرة

جعفر اغا لقلق زاده، هو اكثر الاسماء التي عرف بها في مقاهي بغداد، عاش في صغره في بغداد بين أهالي منطقة الكاظمية، ولكن لم نجد من يؤكد هل هو ولد في الكاظمية، ام ولد في قزوینوجاء محمولاً الى الكاظمية من قبل عائلته التي استقرت فيها قرب ضريح الامام موسى بن جعفر الصادق، جريا على عادة الايرانيين بالسكن قرب تلك المقامات تبركا بها، ام جاء وحيدا من دون عائلته وهو في مقتبل العمر من ايران الى الكاظمية في اوائل القرن العشرين لظروف غامضة واستقر فيها. وهناك من ينكر إنتماؤه إلى أب معروف أو أصل، إلا أنهم يتفقون على أنه عاش طويلا في الكاظمية، وينحدر من أصول ايرانية، ولم تترك قدسية مدينة الكاظمية واجواؤها الدينية اليومية عمليا أي تأثير على شخصيته البوهيمية وسلوكه الأخلاقي الرافض والمناقض لتلك الاجواء القدسية.

## التعليم

ليس هناك ما يشير الى انه تعلم في المدارس، ولم يرد خبر يؤكد انه دخل في الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة، ولكنه كان يفك الخط بصعوبة، الا انه كان يتكلم اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية، التي كانت لغات شائعة في بغداد آنذاك.

## العمل

عمل منذ طفولته بحرف مختلفة، واستقر في شبابه على حرفة صناعة الأمشاط الخشبية، مما يدل انه نشأ في وسط فقير ومعوز.

## العمل الفني

عندما كان صغيراً استرعت انتباهه فصول الاخباري البغدادي جاسم ابن الحمامة وزميله منصور اللذان

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني  
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

القرن العشرين مثل الفنان حسقيل ابو الباطوات وعباس حلاوي منادي اعلانات السينما في بغداد والممثل الهزلي المعروف صفاء محمد علي وجمعة الشبلي وغيرهم، ومن الممثلات فقد استعان برقصات الملاهي من الشاميات والمصريات والعراقيات امثال رحلو العراطة واختها زكية، وحتى آخرهن عفيفة إسكندر. لقد زار في فترة عزه وثرائه عدد من البلدان المجاورة كاستنبول والشام ولبنان وشاهد العروض على خشبة ملاحيا وكذلك شاهد علي الكسار وتعرف بشكل مباشر على نجيب الريحاني و بديعة مصابني وتأثر بالريحاني وشخصية كشكش بيك، وادها في عروضة في ملاهي بغداد واشتهر بها اضافة الى شخصية الهبش التي استعارها من معلمه الأول الاخباري راشد أفندي.

## التعاية المرة

في السنوات العشرة الاخيرة من حياته بدا الناس ينفسون وابتعدون عن نمط فنه، الذي يغلب عليه السذاجة، لانه لم يتطور ولم يفكر بالزمن الذي تجاوزه وتجاوز فنه، لقد تغير في ستينيات القرن العشرين ذوق ونظرة الناس الى فنه، اضافة الى ظهور مسرح جديد بعد ثورة ١٩٥٨م، حيث اخذ يقدم الطلبة وخريجي معهد الفنون الجميلة عروضاً تتماشى مع واقع العراق الجديد، وبذلك قلصت المقاهي والملاهي عروض جعفر لقلق زاده لتراجع الاقبال عليها، ثم تم الاستغناء عنها تماماً بعد أن أصبحت غير مجزية مادياً. ومنذ ستينيات القرن العشرين عاش هذا الفنان وحيداً معدماً، بعد ان تنكر وأنفض عنه اقرب اصدقائه ومعارفه، وعمل لسد الرمق أعمالاً خدمية في الملاهي أخرى حارساً وبواباً في ملهى الخيام، الذي كانت تملكه المطربة لميعة توفيق التي تكفلت برعايته ومصاريفه وإيجار سكنه، وهو عبارة عن غرفة صغيرة في خان الكاظمية وقيل في الحيدرخانة حتى وفاته بعدما أشنت عليه امراض الشيخوخة واقعه الشلل عن الحركة في رمضان الموافق لشهر ايلول ١٩٧٢م.

## وفاته

توفي الفنان الكوميدي جعفر اغا لقلق زاده في مستشفى المجيدية عام ١٩٧٢م، ودفن في مقبرة جامع براتنا. ولم يخرج في تشييعه او توديع جنازته اي فنان، ولا حتى اي احد من اصدقائه اللذين كانوا بالمثلثات ايام ثرائه وسطوع نجمه، كما لم تذكر صحف اليوم التالي اي خبر عن وفاته.

# من ذاكرتي المسرحية.. نديمكم هذا المساء لقلق زاده ينجح في تقديم عروض الكباريه السياسي

مروان ياسين الدليمي



في العام ١٩٨٢ تم تقديم العرض المسرحي «نديمكم هذا المساء» أو بعنوانه الفرعي «جعفر لقلق زاده». على خشبة مسرح كلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد، وكان النص من تأليف عادل كاظم، وإخراج رياض شهيد الباهلي، ومن إنتاج كلية الفنون الجميلة - قسم المسرح، وأعرض عبارة عن أطروحة تقدم بها الباهلي، لنيل شهادة الماجستير في مادة الأخراج المسرحي. وقد إضطلع بمهمة تقديم شخصيات العرض كل من الممثلين: محمود أبو العباس (جعفر لقلق زاده)، مروان ياسين (الممثل المعاصر)، إنتصار عبد الجبار (ريجينة خاتون)، إنعام البطاط (جليلة خاتون)، شفيق المهدي (الصحفي نوري ثابت أو حبز بوز)، وممثلون آخرون ساهموا في تقديم العرض، لا تسعني ذاكرتي في إستحضار أسمائهم.



وجاءت بنية النص الدرامية بمثابة قراءة في حكاية ممثل عراقي، ينتمي إلى هامش المشهد الإنساني العام، لكنه كان معروفا في الأوساط البغدادية في النصف الأول من القرن العشرين، وعلى وجه خاص جمهور المقاهي والملاهي التي كانت رائجة آنذاك، وقد إعتاد الجمهور (النخبوي) إن صح التعبير في حدود البيئة والفترة الزمنية، أن يتابعه باستمتاع لأن شخصيته كانت تتسم بالطرافة، وسرعة البديهة، إضافة إلى أنه كان يمتلك في أسلوبه شيء خاص به، بما يجعله خفيف الظل على المتلقين، لذا نالت عروضه التي كانت أشبه بمشاهد كوميدية (قفشات، سكتشات، ستاند أب) سمها ماشئت، طالما أنها كانت تجمع في خصائص بنائها الفني، تقنيات الأداء في كل هذه التوصيفات الفنية المعروفة والمختصة أكاديميا.

ولعل أبرز ما فيها أنها لم تكن تخلو من التعرض للأوضاع والشخصيات العامة بالنقد الممزوج بالسخرية، فكانت مشاهد من حيث الأسلوب أقرب إلى أشعار أملا عبود الكرخي ومقالات الصحفي نوري ثابت الذي كان قد إختار أسم (حبز بوز) كأسم مستعار في جميع مقالاته الساخرة التي كان ينتقد فيها ساسة وسياسات الحكم

الملك، وقد عاصر لقلق زاده هاتين الشخصيتين. ونجح الممثل «لقلق زاده» في تقديم نموذج بسيط (فطري) من عروض (الكباريه السياسي) المسرحية، رغم أنه لم يتعلم فن التمثيل في معهد مختص، ولم يتلمذ على يد من كان له خبرة في الأداء المسرحي، معتمداً بذلك على مشاهداته لبعض العروض التي كانت تقدم خلال فترات متباعدة في تلك الفترة الزمنية، من قبل فرق محلية وأحيانا مصرية كانت تزور العراق.

## معالجة درامية

دراما تورجيا النص للمؤلف عادل كاظم قدمت الشخصية المحورية من خلال قراءة درامية للظرف العام المحيط بها خلال السنين الأولى من الحكم الملكي، حيث كانت الدولة العراقية في مقدمات تأسيسها. والعراق في حينه كان يشهد تحولا في بنيته السياسية والاجتماعية، مما كان له أثر كبير على ما شهدته الحياة العامة من توتر ومواجهات بين بعض الشرائح المجتمعية (عشائرية ودينية) مع النظام الجديد وقوى الاحتلال البريطاني التي كانت تدعمه وتحكم البلاد. ويقترب النص في بنائه الفني

من ملامسة كواليس الأحداث السياسية وتدايها على المجتمع العراقي، عبر التركيز على شخصية الممثل جعفر لقلق زاده.

والرؤية الفنية التي لجأ إليها المؤلف عادل كاظم إرتكزت على إبتكار لقاء مفترض بين ممثل معاصر والممثل لقلق زاده، ومن خلال هذا اللقاء، الذي تتباين فيه الرؤى للحياة والفن، يتم استدعاء ذاكرة الماضي (ذاتيا وموضوعيا) وفي هذا الإستدعاء إعتد كاظم على تقنيات البناء المشهدي البريختي، حيث توقف عند أبرز المحطات العامة التي كان لها حضور مؤثر في ذات الشخصية.

ونال العرض تقديرا واهتماما من قبل المسرحيين العراقيين أثناء تقديمه، ويمكن عدده واحدا من العروض الجميلة التي شهدتها كلية الفنون في ثمانينات القرن الماضي، وحفل بمتابعة كبيرة من الجمهور، مما إستدعى تمديد فترة عرضه لتتجاوز المدة أزمينية التي كانت قد خصصتها عمادة كلية الفنون الجميلة. وبعد عدة أشهر من انتهاء العرض، وأثناء العطلة الصيفية تلقينا نحن الممثلين دعوة من المخرج رياض شهيد، وقدما العرض مرة أخرى

على خشبة مسرح بغداد الكائن في أحد أزقة شارع السعدون وكان المبنى مقرا للفرقة مسرح الفن الحديث، وبسبب إعتذار بعض الممثلين عن المشاركة في العرض الثاني، حل الممثل «كنعان علي» بدلا عن محمود ابو العباس، والممثل «عامر جهاد» بدلا عن شفيق المهدي، وبقيت أنا محتفظا بشخصية الممثل المعاصر، لأنني أثناء دراستي في بغداد، كنت قد اتخذت قرارا بالبقاء في العاصمة والإقامة في الأقسام الداخلية المخصصة للطلبة خلال فترة العطلة الصيفية، وعدم العودة إلى الموصل أغلب سنوات دراستي في كلية الفنون الجميلة التي كانت مابين الأعوام ١٩٨٠ - ١٩٨٤ وهذا لأنني كنت عازما على أن اتابع ما يجري فيها من أنشطة مسرحية وثقافية، وكانت لي علاقات وثيقة مع مسرحيين وشعراء ومثقفين من جيلي، كان أغلبهم زملائي في الكلية. بعد بضعة سنين أعيد إنتاج النص من قبل الفرقة القومية للتمثيل التابعة لدائرة السينما والمسرح، وقدم العرض على خشبة المسرح الوطني، وكان من إخراج محسن العزاوي. وقدم الممثل سامي عبد الحميد شخصية جعفر لقلق زاده، وسامي قفطان شخصية الممثل المعاصر.

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

